

وقد قال له: بأي شيء تأكل الخبز؟ فقال: أذكر العافية فأجعلها إداماً!. ومن كلامه: عقوبة العالم في الدنيا أن يعمي بصر قلبه، من طلب الدنيا فليتها للذل، وكان يقول لأصحاب الحديث: أدوا زكاة هذا الحديث، قالوا: وما زكاته؟ قال: اعملوا من كل مائتي حديث بخمسة أحاديث، وقد روي عنه السري السقطي وجماعة من الصالحين، وقد كانت له ثلاث أخوات: مِصْغَة، ومُخَة، وزُبدَة، وكن زاهدات عابدات ورعات، وكانت مِصْغَة أكبرهن وقد ماتت قبله، فحزن عليها حزناً شديداً وبكاها بكاء كثيراً، فقليل له في ذلك. فقال: قرأت في بعض الكتب: أن العبد إذا قصر في خدمة ربه سلبه أنيسه. وهذه أختي مِصْغَة كانت أنيسي في الدنيا.

وكان يقول: تعلمت الورع من أختي مِصْغَة، فإنها كانت تجتهد ألا تأكل مالمخلوق فيه مِصْنَع. ويقول عبد الله بن أحمد بن حنبل: جاءت إلى أبي امرأة، فقالت: يا أبا عبد الله، أنين المرض هل هو شكوى؟ فقال: أرجو ألا يكون شكوى، ولكن هو اشتكاء إلى الله تعالى، ثم انصرفت، فقال لي أبي: يا بني، ما سمعت إنساناً قط يسأل عن مثل ما سألت عنه هذه المرأة، ابتعها. قال عبد الله: فتبعتها إلى أن دخلت دار بشر الحافي، فأخبرت أبي بذلك، فقال: هذا والله هو الصحيح، محال أن تكون هذه المرأة إلا أخت بشر الحافي. يقول عبد الله أيضاً: جاءت مخَة أخت بشر الحافي إلى أبي، فقالت: يا أبا عبد الله، رأس مالي دانقان أشترى بهما قطناً فأغزله وأبيعه بنصف درهم؛ فأيفق دانقاناً من الجمعة إلى الجمعة. وقد حدث أن مر الطائف ليلة ومعه مشعل فاغتنمت ضوء المشعل، وغزلت طاقين في ضوئه، فعلمت أن الله سبحانه وتعالى في مطالبة، فخلّصني خلك الله، فقال أبي: تخرجين من الدانقين، ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيراً منهما، قال عبد الله: فقلت لأبي: لو قلت لها: حتى تخرج رأس مالها، فقال: يا بني، سؤالها لا يحتمل التأويل، فمن هذه المرأة؟ قلت: مخَة أخت بشر الحافي، فقال: لا عجب إذن.

شاعر بيت النبوة:

حكى صاعد مولى الكميت الأسدي قال: دخلت معه إلى علي بن الحسين (عليه السلام) فقال: إني قد مدحتك بما أرجو أن يكون لي وسيلة عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم أنشده: